

من الآثار الإسلامية المدرسة في مدينة النجف الأشرف

الشيخ عبد الرزاق حرز الدين*

مقام الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

يؤثر في مدينة النجف الأشرف مقامان للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، صلى فيهما عند مجيئه لزيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام :
المقام الأول معروف مشهور يقع في وادي السلام جبانة النجف الكبيرة وبجانبه جنوباً في نفس المكان موضع مربع الشكل والهيئة معبد بالقاشي الأزرق القديم وعليه قبة زرقاء تسميه العامة "مقام المهدي" تزوره الناس وتصلّي فيه، والذي عليه النصوص والأحاديث الواردة هو موضع منبر القائم محمد بن الحسن المهدي عند ظهوره عجل الله فرجه فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

أمّا المقام الثاني للإمام الصادق عليه السلام - وهو المدرس - يقع بين الركن الجنوبي الغربي للصحن الشريف ومسجد الرأس .
قال شيخنا البحّثة الحجّة محمد حرز الدين : يقع هذا المقام جنب جدار الصحن الغروي الغربي على يسار الداخل إلى الصحن من الباب السلطاني (باب الفرج) الذي فُتح باسم السلطان ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧هـ . وأدركنا بناء المقام فكان عبارة عن غرفة قديمة البناء كالصفة فوقها قبة بيضاء بُنيت بالجص والآجر القديم، طولها ثلاثون قدماً وعرضها كذلك، أمامه ساحة في وسطها بالوعة لصرف مياه الأمطار . وكان الأخيار والزوّار يصلّون فيه ركعتين . وروي أنّ السيّد حسين المقرّم النجفي كان يصلّي فيه جماعة، وسمعت أيضاً أنّ

* باحثٌ ومحقّق تراثي نجفي .

المقال مستل من كتاب (تاريخ النجف الأشرف)، تأليف: المغفور له الشيخ محمد حسين حرز الدين، هدّبه وزاد عليه: نجله الشيخ عبد الرزاق حرز الدين . وسيمثل الكتاب إلى الطبع قريباً .

الميرزا محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيشابوري الهندي الأكبر آبادي المشهور بالأخباري (المقتول سنة ١٢٣٢هـ) صلى فيه جماعة . وللمقام دار وقف سكنها العالم الجليل الشيخ محمد مهدي الفتوني . وفي زماننا أخرجوا من هذه الدار عدة دكاكين حيث صارت في قلب السوق الجديد .^(١)

وقال والدي المغفور له الشيخ محمد حسين حرز الدين : وفي منتصف القرن الرابع عشر للهجرة لم يكن لهذا المقام عيناً ولا أثراً سوى أننا أدركنا دكاناً كبيراً عميقاً في الزاوية جنب الدعامة اليسرى للداخل من باب الفرج، يعلو عن أرضية باب الصحن حدود المتر، تحته سرداب بعمق مترين، بابه من مقدم الدكان . كانت اللهجة السائدة عند النجفيين أن هذا السرداب هو مقام الإمام الصادق عليه السلام، وقد كنت أسعى كثيراً للإطلاع عليه ومشاهدته عن قرب حتى وفقت يوماً بأخذ الإذن من صاحب الدكان الذي كان يتولى أمره، وقد جعل من السرداب مخزناً للخضروات الصيفية، فاذا السرداب معبدة أرضه وجدرانه إلى السقف ببلاطات من القاشاني الأزرق والمزركش الأثري القديم، فتبين لي حينها أن الشهرة الطائفة بين النجفيين كانت عن عيان ومصدر تاريخي، مع ما حدثني به أحد أعلام العلماء المعمرين المعروفين بالضبط والتثبت في الرواية ووصف الآثار التاريخية، عن أحد أساتذته في النجف الأشرف أنه رأى في هذا المقام صخرة من المرمر مثبتة في إحدى جدرانه الجنوبية منقوش عليها بالحفر صورة رجل أعرابي متنكر يرتدي عمة عربية راكباً ناقه، وهي صورة رمزية للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حينما جاء زائراً قبر جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وحدثني أن الصخرة المؤمى إليها فقدت من المقام هذا عندما تداعى بناؤه قبل تحويله إلى دكان .

وفي سنة ١٣٦٨هـ هُدم ذلك الدكان وما حوله لفتح الشارع العام المحيط بالصحن الشريف، وأعيد بمكانه دكاكين جديدة، وبعد حدود ستة عشر عاماً هُدمت هذه الدكاكين وأصبحت ساحة معبدة، فتح عندها باب خارجي لمسجد الرأس .

وقد صرحت أخبار كثيرة أن الإمام الصادق عليه السلام كان يأتي تارة من الحجاز لزيارة مرقد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، وأخرى من الكوفة، ومن الحيرة، ومن القادسية، وهو الذي دلّ شيعته على مرقد جدّه، كما أعطى صفوان الجمال دراهم لإصلاح دكة على قبره عليه السلام، حتى ظهور القبر على يد هارون الرشيد العباسي .

(١) كتاب النوادر : ٩٤/٧ . معارف الرجال : ٢٥٨/١ .

مقام الإمام علي بن الحسين عليه السلام

ومن الآثار التاريخية القديمة في النجف الأشرف مقامي الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام :

يقع الأول في الجهة الغربية لمدينة النجف المسورة مما يلي جرف البحر، في المحلة القديمة التي كانت تعرف بمحلة المسيل . وهو الآن مقام مشيد معروف ومشهور .

أما المقام المندرس الذي يُنسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام موقعه غربي الصحن الغروي الشريف، يبعد عنه ما يساوي مئة وخمسين متراً تقريباً، في آخر سوق العمارة في دار قديمة . ولم يتغير بناء تلك الدار والمحراب الذي فيها حتى هدمت دور محلة العمارة .

في كتاب النوادر : أن في منتهى الزقاق الذي صار سوقاً يعرف بسوق العمارة (سوق القاضي) - بعد فتح باب الصحن الجديد - محراب قديم مجلل يقول الناس إنه محلّ كان الإمام زين العابدين عليه السلام يربط ناقته فيه عندما يجيء لزيارة جدّة أمير المؤمنين عليه السلام، ويتقدّم ماشياً إلى القبر الشريف، ولذا سميت هذه المحلة بعد بـ"محلة الرباط"، ثم أهملت أسماء هذه المحال وسميت بـ"محلة عمارة المؤمنين" .^(١)

أقول : ومصدر نسبة هذين الأثرين وما دلنا عليهما هو التلقّي عن أسلافنا يداً عن يد إلى أصحاب الأئمة عليهم السلام، فليكن جيلنا ممن حفظ الأمانة وأوصلها إلى أجيالنا القادمة . لذا فنحن نهيب بأولي الأمر ومن يهمهم الأمر من الغيارى على تراثنا الإسلامي إلى الالتفات إلى هذين الأثرين - مقام الإمام الصادق ومقام الإمام علي بن الحسين عليهما السلام - وإحياء أثرهما من جديد عسى أن يلحقا بتوسعة للصحن الحيدري الشريف أو يصبحا جزءاً من آثار آل البيت عليهم السلام في هذه المدينة المقدّسة . على أن التعرف على موقع هذين الأثرين المندرسين هو من مهمّات علم المساحة وهو أمر ميسور لدى أرباب هذا العلم بالإستعانة بخرائط مدينة النجف القديمة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : رحم الله من أحيى أمرنا .

(١) كتاب النوادر : ٨٤/٧ .